فجر يوم ٢٣ مارس/ آذار

مذبحة مسعفين طواقم الهلال الأحمر والدفاع المدني

مذبحة مسعفين طواقم الهلال الأحمر والدفاع المدني

فجر يوم ٢٣ مارس/ آذار عند الساعة ٠٥:٢٠ صباحًا، تحرك فريقٌ مشترك من الهلال الأحمر الفلسطيني والدفاع المدني وإحدى الوكالات الأممية، استجابةً لنداءات استغاثة أطلقها جرحى فلسطينيون كانوا محاصرين.

انطلقوا بنية إنسانية خالصة، لا يحملون سوى الضمادات وقلوب مخلصة، لكنهم -دون أن يعلموا- كانوا الهَدفَ القادم لجيش الاحتلال الإسرائيلي.
ولكن ما بدأ كمهمة إنقاذ انتهى بمجزرة دامية، فبعد وقت قصير من انطلاق الفريق انقطع الاتصال به، وبعد ساعات أعلنت قوات الاحتلال أن المنطقة أصبحت منطقة عسكرية مغلقة.

تعرضت قافلة سيارات إسعاف الهلال الأحمر الفلسطيني وسيارة تابعة للأمم المتحدة وشاحنة إطفاء من الدفاع المدني في غزة لإطلاق نار في منطقة تل السلطان، وقالت إسرائيل في البداية إن قواتها فتحت النار لأن قافلة المركبات اقتربت «بشكل مريب» في الظلام بدون مصابيح أمامية أو أضواء مضاءة، وأنه لم يتم تنسيق حركة المركبات أو الاتفاق عليها مسبقًا مع الجيش.

الا ان الرواية الاسرائلية تم كشف زيفها من خلال فيلم مصور بهاتف المسعف رفعت رضوان الذي كان يوثق تفاصيل المهمة بهاتفه النقال دون أن يدرك أنه سيوثق أيضًا الجريمة النكراء التي هزت العالم، تلك كانت اللحظات الأخيرة في حياة مجموعة من المسعفين الفلسطينيين الذين قُتلوا على يد جنود الاحتلال الإسرائيلي بدم بارد.

وثق الفيلم كما يبدو من داخل سيارة التي كان يقلها، وتشاهد أمامها قافلة من سيارات الإسعاف وسيارات الإطفاء المُعلمة جيداً مع أضواء أمامية وهي تسافر جنوباً في الشارع المؤدي إلى رفح في الصباح الباكر. توقفت القافلة عندما شاهدت سيارة انحرفت على جانب الطريق.

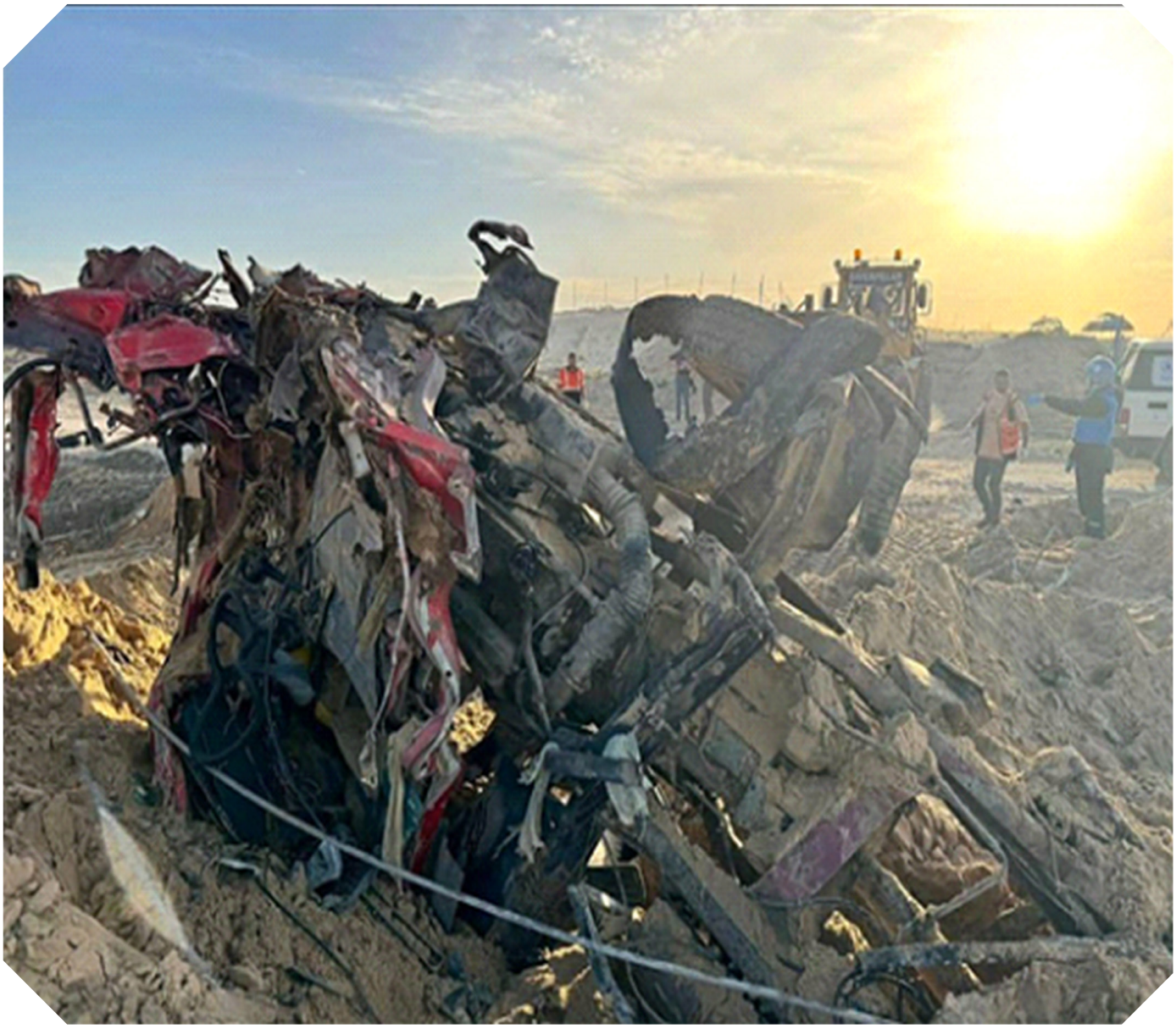

وبعد نزول عاملي الإغاثة من سيارات الإسعاف وهم يرتدون الستر الرسمية التي تشخصهم كرجال إسعاف، سمعت اصوات طلقات النار، التي استمرت لخمس دقائق.

وحسب المتحدثة بلسان الهلال الأحمر الفلسطيني، فإن جثة المرض الذي وثقت كاميرته ما حدث، عثر عليها بعد ذلك، وقد تم إطلاق النار على رأسه.

الفديو أظهر أن سيارات الإسعاف وسيارات الإطفاء التي كان فيها عاملو الإغاثة كانت عليها إشارات واضحة، وأن أضواء الطوارئ كانت مشغلة عندما أطلق جنود الجيش الإسرائيلي النار عليها

عثر على الجثث يوم الأحد في حفرة في الرمال إلى جانب السيارات التي تدمرت. المشاركون في البحث عن الجثث، قالوا إن بعض القتلى كانوا مكبلي الأيدي أو الأرجل.

بعد الضغط الدولي، قال الجيش الإسرائيلي ، بأنه تم فتح تحقيق رسمي في الحادثة، في ال ٥ من ابريل أقرّ الجيش الإسرائيلي بارتكاب أخطاء في مقتل ١٥ من مسعفي الطوارئ جنوب غزة في ٢٣ مارس/ آذار ٢٠٢٥، قائلاً إن الرواية السابقة للجيش حول الحادثة «لم تكن دقيقة»

وفقاً لشهادة الناجي الوحيد «منذر عابد»، متطوع (٢٧ سنة) في الهلال الأحمر، الذي كان في قافلة سيارات الإغاثة، قال إن الجنود أطلقوا النار على سيارات الإسعاف وسيارات الإغاثة الواحدة تلو الأخرى وحسب قوله، بعد إطلاق النار استخدم الجنود جرافة لدفن السيارات المدمرة.

قال عابد. "سمعت أصدقائي يلفظون أنفاسهم الأخيرة. وكل شيء صمت فجأة. سيارة الإسعاف توقفت والأضواء خفتت". عند فتح الباب، شاهد جنوداً مع أضواء ليزر خضراء ونظارات رؤية ليلية.

جره الجنود إلى الخارج ووجهه إلى أسفل، في محاولة لمنعه من رؤية ما حدث حوله، وخلعوا ملابسه وكبلوا يديه وراء ظهره. "ألقوني على الأرض، وبدأ التحقيق. تعرضتُ لتعذيب شديد ولكمات وإهانة وتهديد بالموت والخنق، ضغط أحد الجنود على عنقي ببندقيته". يتذكر عابد ويقول: وضع جندي آخر السكين على كتفي الأيسر.

عند شروق الشمس، قال، نجح في رؤية ما حوله بشكل أوضح. "كانت المنطقة محاصرة بالكامل. وصلت دبابات، ومسيرات وجرافة وحفار. بدأوا في حفر حفرة كبيرة، بعد ذلك، ألقوا فيها سيارات الإسعاف وسيارة الدفاع المدني. ثم دفنوها وأغلقوا الحفرة.

حسب بيان الهلال الأحمر والدفاع المدني، فإن القتلى الذين ينتمون للهلال الأحمر هم مصطفى خفاجة، وعز الدين شعث، وصالح معمر، ورفعت رضوان، ومحمد بهلول، وأشرف أبو لبدة، ومحمد الحيلة، ورائد الشريف.

قتلى الدفاع المدني هم يوسف خليفة، وفؤاد الجمل، وزهير الفرا، وأنور العطار، وسمير البحابصة، وإبراهيم المغاري. وحسب البيان، فإن القتيل من الأونروا هو كمال محمد شحتوت، وهو معلم من سكان حي الشابورة في مدينة رفح.

في أول أيام عيد الفطر تم العثور على ١٥ جثمانًا بينهم ٨ مسعفين من الهلال الأحمر و٥ من الدفاع المدني وموظف من وكالة «أونروا».

نكَّل الاحتلال (الإسرائيلي) بالجثامين بجرَّ أجسادهم ودفنها في حفرة بعد أن شوَّهها ليدفن فعلته الشنيعة ويطمس الحقيقة.

وقد عُثر على أحد المسعفين مقيَّدًا، وآخر منزوع الملابس، وثالث بلا رأس.
كانت أجسادهم مثخنة بالرصاص، وأقلّهم اخترقته عشر رصاصات.

لم يكتفِ الاحتلال بقتلهم، بل سحبهم من سياراتهم الموسومة بعلامات الهلال الأحمر والدفاع المدني، ودفنهم في حفرة بعمق مترين، بعيدًا عن الأنظار، في محاولة لإخفاء الجريمة.

تعد هذه الجريمة من اشبع الجرائم التي يمكن أن تحدث في العصر الحديث، فاستهداف الطواقم الإنسانية والطبية بهذه الوحشية هو باختصار انتهاكًا لكافة القوانين الدولية.

رفعت رضوان

البالغ من العمر ٢٤ عاماً تطوع في الهلال الأحمر في غزة، انضم إلى جمعية الهلال الأحمر عام ٢٠٢٢ بهدف مساعدة الجرحى والمصابين.
وفقاً لشهادات المصابين في غزة كان يجوب قطاع غزة من شماله لجنوبه لخدمة المصابين حتى أنه كان ينقل المصابين للعبور إلى مصر للعلاج من خلال معبر رفح.
أصيب رفعت، وفي لحظاته الأخيرة صلى ودعا الله مرارًا وتكرارًا ليغفر له وطلب المسامحة من والدته لاختياره طريق الإسعاف الذي وضعه في طريق الأذى. توقفت بعدها صلواته مع توقف نبض حياته.
ابن الـ٢٤، كان روحًا لطيفة. وفقاً لشهادات أصدقائة «لقد حرص على مساعدة أي امرأة مسنة يصادفها».

يوسف راسم خليفة ابو أسامة

يوسف راسم خليفة: ضابط إسعاف ضمن جهاز الدفاع المدني، يبلغ من العمر ٤١ عاما التحق بجهاز الدفاع المدني عام ٢٠٠٩ متزوج ولديه ٦ بنات عمر أصغرهن ٣ سنوات ونصف.

اختفى الضابط في الهلال الأحمر الفلسطيني يوسف خليفة مع ١٤ من رفاقه من طواقم الهلال الأحمر والدفاع المدني، أثناء توجههم لإغاثة أهالي مدينة رفح جنوب القطاع، تحت القصف (الإسرائيلي) الشديد.

كان يوسف خليفة قد استعد للاحتفال مع بناته بعيد الفطر، بعد معاناة طويلة في ظل الحرب.

تقول زوجته: «في يوم الجمعة، ٢١ مارس، قالت ابنتي لين لأبيها: (بابا، عندي خبرين مش حلوين)، فسألها: (شو فيه؟)، فأجابته: (بكرا التغت إجازتك، وأنت دوام)، مضيفة: (يعني أول يوم العيد، حتكون مداوم، عيدنا مش حلو يا بابا).»

فردَّ يوسف ضاحكًا: «هاد واجبي يا بابا، وإن شاء الله أول يوم عيد حأجي أشوفكن وأنا في الدوام.»

لم تعلم، ولا نحن - كما تقول زوجته - أن تلك كانت آخر كلماته، آخر وعد بالعودة.

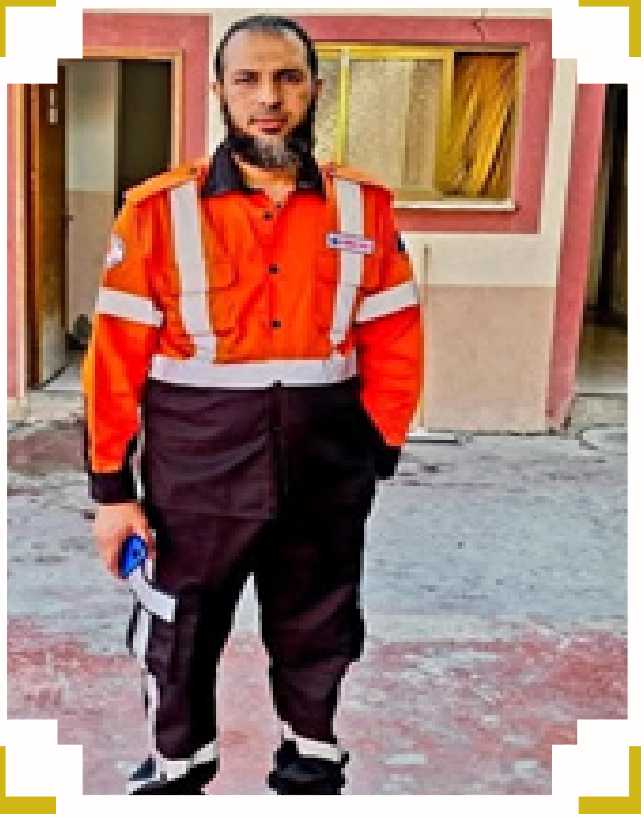

ثم ذهب يوسف إلى عمله صباح السبت، وفي يوم الأحد، فُقِد الاتصال به ومع كامل الفريق، مما زاد من قلق العائلة.

وفي الأيام التي تلت، انتظرت بناته الست بفارغ الصبر، متخيلات أن هذا العيد سيكون عيد اللقاء، لكنها كانت أيامًا مملوءة بالألم والترقّب، حتى جاء المساء، وجاء يوسف، لكنه جاء بالكفن، ليكتب الاحتلال نهاية مؤلمة لأبٍ قدّم روحه فداءً لمساعدة الآخرين.

ذنبه الوحيد أنه كان إنسانًا، مهمته أن يُقدِّم العون والمساعدة في زمن الحرب.

أما العدو، فكان هدفه أن يسلب الفرحة من قلب العائلة الفلسطينية، ليجعل من كل عيد ذكرى مليئة بالحزن والفقد.

AOHR

المنظمة العربية لحقوق الإنسان

ARAB ORGANIZATION FOR HUMAN RIGHTS